وكان من معاصري الاستاذ الفيومي الذين بحثوا في اللغة دوناش بن لبراط ودوناش ابن تميم ويهودا بن قريش . وقد بحث هذا الاخير في اللغات السامية الثلاث وقابل بينها وبين لغة التوراة ولغة المشنا

وتوجد كتب من تأليف ابي يهودا حيوج المعروف بيحيا ابن زكريا (٨٨٠ — ٩٣٢) منها ماوُرِّ عيناي بالعبراني وكتاب التنقيط بالعربي . ونسخ يهودا بن قريش (٨٧٠ — ٩٠٠) نسخة من كتاب الاصول بالعربي لربي يونا المعروف بابي الوليد مروان ابن جناح (١٠٥٠) وهي في مكتبة اكسفرد ستأتي البقية الدكتور هلال فارسي

البحث الطبي

بستور وعصر البكتيريولوجيا اي علم الميكروبات

يُعلَّم تاريخ البكتيريولوجيا اي علم البكتيريا او الميكروبات من وصف التجارب التي جربها بستور والحقائق التي اكتشفها . فقد كان التطعيم معروفاً قبل عهده وكذلك عُرف وجود الميكروبات وكان العلماء قد اخذوا يبحثون عن اسباب العدوى ويرتأون فيها الآراء ولكن بستور اثبت فعل الميكروبات في الفساد والاختمار والامراض وبيَّن حقيقة التطعيم اي الاساس العلمي الذي يبنى عليه . ولا يضارع المكتشفات التي وصل اليها الاَّ ما وصل اليه ورخو في علم الطب وداروين في علم الاحياء . اما النتائج العظيمة التي نتجت من مكتشفاته فلا مثيل لها في علم الاحياء ولا في علم آخر من العلوم

ولا بدَّ لنا من أن ننظر نظرة عامَّة الى ما كان يعرف من امر الميكروبات والعدوى والاختمار وما اشبه قبلما اخذ بستور في مباحثه فنقول

ان اول مَن رأى الميكروبات رجل هولندي من صانعي البلورات المكبرة اسمهُ ليوونهوك Leeuwenhoek وذلك سنة ١٦٧٣ اي قبلما صُنع الميكرسكوب المركَّب الذي يكبر المنظورات كثيرًا . فانهُ كان شديد المهارة في صناعته فعمل بلورات قوية جدًّا رأى بها كريات الدم الحمراء وشاهد في الخمير اجساماً كروية واكتشف احياء ميكروسكوبية في اللعاب والعصارة المعوية وفي الطرطير الذي يرسب على الاسنان . ولما أتقن الميكرسكوب المركَّب حاول اهرنبرج Ehrenberg تبويب الميكروبات وبنى تبويبهُ لها على اكتشاف ستة عشر نوعاً منها . لكن التدقيق في معرفتها كان بين سنة ١٨٥٣ و ١٨٧٥ والفضل فيه يكون

Cohn فانهُ اول مَن فرق بين الاشكال الكروية المسماة كوكس والاشكال العصوية المسماة باشلّي . وكان البحث في هذه الميكروبات نباتيًا واستمرَّ على ذلك الى سنة ١٨٧٢ حين رأى كوهن ان يضيف اليها الميكروبات التي تسبب الامراض

وقد وُجد الميكروب في بعض الحيوانات المريضة منذ سنة ١٨٥٠ اذ وجد ميكروب الجمرة (الانثركس) في الحيوانات التي ماتت بالحمّى الطحالية واكتشف شونلين Schönlein سنة١٨٩٣ طحلبًا نباتيًا في داء القرع ووجد مالمستن Malmsten طحلبًا مثلهُ سنة١٨٤٨ في داء الثعلب وبرهن باسي Bassi سنة ١٨٣٢ على ان مرض دود الحرير ناتج عن نبات فطري يحوّفيهِ . لكن هذه المكتشفات لم تشتهر ولا ثبتت بها العلاقة التي بين الميكروبات والامراض التي تعتري الانسان

وارتأى البعض ان الامراض ناتجة عن ميكروبات غير منظورة منذ سنة ١٧٦٢ مثل بلنز Plenciz الذي استنتج من مكتشفات ليوتهوك ان لكل مرض ميكروبًا خاصًّا بهِ . ونسب انحلال المواد الحيوانية والنباتية الى الميكروبات في الانسجة الحية واشار بامكان نقل عدوى الامراض بواسطة الهواء . الاَّ انهُ لم يكن لهذه الاراء اساس عملي مبني على الامتحان ولا كان احد رأى الميكروبات التي تسبب الامراض . وعليهِ فصاحب هذا الرأي اعتقد اكثر مما استطاع ان يثبت بالامتحان . ولما انتصف القرن التاسع عشر كثرت مشاهدات الباحثين للميكروبات وكثر البحث في التولُّد الذاتي والاختمار والعدوى ولكن التجارب التي كان بها الحكم الفاصل في هذه المباحث لم تجرَّب الاَّ بعدئذٍ . ومن الغريب ان العالم الذي جربها لم يكن من علماء الحيوان والنبات بل كان كيماويًا وجرى فيها مجرى التجارب الطبيعية لوضع علم الميكروبات وجعل لهُ المقام السامي بين العلوم الطبية الذي رأيناهُ فيهِ منذ ثلاثين سنة الى الآن

هذا هو بستور العالم الكيماوي . واول اكتشاف اكتشفهُ كان في التبلُّور وذلك انهُ عانى فعل الحامض الطرطريك بالنور المستقطب . فان هذا الحامض يستخرج من ثفل الخمر ويخالف سائر الحوامض بانهُ لا يفعل بالنور المستقطب فعلَّل بستور ذلك بان هذا الحامض مؤلف من مادتين متماثلتين بلورات احداهما تحرف اشعة النور المستقطب الى اليمين و بلورات الاخرى تحرفهُ الى اليسار فتلاشي الواحدة فعل الاخرى فلا تحرفان سطح النور المستقطب . وهذا اول اكتشافاتهِ وقد اكتشفهُ سنة ١٨٤٨ اي السنة التي كان ورخر يبحث فيها في حمى التيفوس بسيليا . وقد اشار الاستاذ بيو الى اكتشاف بستور هذا بعد سنتين وقال انهُ

مثل اكتشاف كلفورنيا جديدة (اي بلاد مناجم الذهب)

ولا يخفى ان لهذا الاكتشاف شأناً كبيراً في علم التبغور ولكن شأنهُ الاكبر انهُ قاد المكتشف الى البحث في الاختمار فانهُ وجد وهو يبحث في الحامض العلرطريك ان الاملاح التي حوامضها لا تفعل بالنور المستقطب اذا اصابها التعفن زالت منها البلورات التي تحرف سطح النور الى اليمين و بقيت البلورات التي تحرف سطحهُ الى اليسار فاستنتج ان تحوُّل هذه السوائل من حوامض لا تفعل بالنور الى حوامض تفعل بهِ انما حدث بفعل اجسام حية حلت جزءًا منهُ وابقت الجزء الآخر . هذا اول بحث بحثهُ في علم الاختمار ومن ثمَّ اتجه بحثهُ الى ما نتج منهُ علم الميكروبات والوقاية من الامراض

اخذ بستور في درس الاختمار وهو رئيس لمدرسة ال واستاذ للكيمياء فيها . فان صنَّاع الخمور في تلك البلاد تعذَّر عليهم عمل الكحول من البنجر وجاء واحد منهم الى بستور مسترشداً بهِ فجعل بستور يزور مكان عمل الخمور يومياً ويراقب ما يجري فيهِ ثم جعل يمتحن اختمار عصير البنجر في مختبرهِ الكيماوي

لما اخذ يدرس الاختمار كان هذا الموضوع مكتنفاً بغامة من الغموض تخللها اشعة قليلة من النور فان كنيرلاتور Cagnaird-Latour كان قد درس خميرة البيرة سنة ١٨٣٦ ورأى انها مؤلفة من حويصلات تنمو بالتبرعم ورجح انها تفعل بالسكر بواسطة هذا النمو . ووصل شوان Schwan وكتزنج Kützing الى هذه النتيجة ولكنهما ناقضا ليبغ Leibig الذي ارتأى ان الاختمار فعل ميكانيكي وانكر انهُ من الافعال الحيوية . وقام برزليوس Berzelius وهو ثقة مثل ليبغ وارتأى ان الاختمار ناتج من انحلال السكر لانصالهِ بمادة اخرى . ورأي هذين العالمين جعل الناس يغفلون ما قالهُ كنيرلاتور وكتزنج ويحسبون الاختمار عملاً غامضاً لا تعلم حقيقتهُ . كذا وصفهُ كلودبرنار Claude Bernard سنة ١٨٥٠

ألاَّ ان بستور رأى ان لا بدَّ من فعل حيوي في الاختمار الكحولي فلم يعبأ بآراء اولئك العلماء بل جعل رائدهُ الامتحان وبحث في اختمار اللبن فوجد ان الخمير يتكاثر فيهِ بالتبرعم كما في اختمار السكر ولكن خلايا خميرة اللبن تختلف عن خلايا خميرة الخمر . ولاحظ ان شكل الخلايا الواحدة يتغير بتغير احوال الاختمار . ورأى انهُ يتكون في الاختمار الكحولي غليسرين وحامض كهربائيك مع الكحول والحامض الكربونيك . ويقال بالاختصار انهُ اثبت بالامتحان ان الاختمارات التي يتكون منها كحول وخل وحامض لبنيك وحامض

زبديك كلها ناتجة من وجود احياء دقيقة او كما قال ان فعل الاختمار الكيماوي هو في جوهره نتيجة ملازمة لفعل حوي تبتدئ به وتنتهي به

ان اظهار ما تفعلهُ الميكروبات في الاختمارات المختلفة ادّى الى اظهار اسباب الامراض فانهُ بينما كان بستور يشتغل بموضوع الاختمار منحهُ اكاديمية العلوم جائزة الفسيولوجية الامتحانية سنة ١٨٥٩ . وكلورد برنار نفسهُ كتب التقرير الذي بني عليهِ اعطاءهُ هذه الجائزة وجعل مدار استحقاقهِ لها ما في مكتشفاتهِ من الفائدة لعلم الفسيولوجيا

ونتج عن مكتشفاتهِ ان دار البحث في التولّد الذاتي فاشتغل بهِ . وكان العلماء قد اطرحوا آراء الاقدمين القائلين بتولد الفيران من الطين والدود من اللحم الفاسد ولكن لما رأوا ان الاختمار والاعتلال يتولدان من الميكروبات سألوا من اين تأتي هذه الميكروبات افلا تتولد من نفسها في المواد الفاسدة . وكان سبالنزاني Spallanzani قد ابان منذ سنة ١٧٦٩ انهُ اذا وضعت مواد قابلة للفساد في زجاجة وسدّت سدًّا محكمًا واحميت في الماء الغالي لم يحلّ فيها الفساد بعد ذلك ما دامت في الزجاجة . ووصل شلز Schulz سنة ١٨٣٦ الى هذه النتيجة بادخالهِ الى الزجاجة هواء بعد اجرائهِ في محلولات قوية من الحوامض والقلويات . وفعل شوان Schwan مثلهُ بادخالهِ اليها الهواء بعد احمائهِ وشروردر Schroeder ودوش Dusch سنة ١٨٥٤ بادخالها الهواء بعد امرارهِ في القطن المندوف . وكل هذه الوسائل تنزع الميكروبات من الهواء وانما السائل فتكون ميكروباتهُ قد ماتت بالاغلاء فلا يحل بعد ذلك . ولم يعبأ احد بهذه التجارب حينئذٍ مع اننا نعلم الآن انها اساس الاعمال البكتيريولوجية في التعقيم . لكن التولد الذاتي لم يلقَ سلاحهُ بسهولة فاحتدم الجدال فيهِ من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٦٢ بين يوشه Pouchet وبستور فكان يوشه يقول بامكان تولد الحيوانات والنباتات في مكان خالٍ من الهواء وليس فيهِ جراثيم اجسام آلية عمّا يأتي مع الهواء . وكان بستور يقول ان هذه الاحياء لا تتولد ما لم توجد تلك الجراثيم . ودام الجدال سنوات ونرى فيهِ الآن اموراً كثيرة لا تخلو من فائدة وانتهى بان اثبت بستور انهُ اذا احمي عنق الزجاجة ومطّ حتى صار دقيقًا وحُني حتى صار فيهِ عقفتان ثم احميت الزجاجة بالاغلاء لم يعد الاعتلال يتولد فيها فان عنقها تبقى مفتوحة ولكن يتجمع البخار ماؤه في عقفتيها فيمنع دخول ميكروبات الهواء اليها . وهذا الامتحان مع تجارب كوهن في بزور الميكروبات وتبدل بالهباء المتطاير في الهواء

نقضت دعوى القائلين بالتولد الذاتي ومهّدت السبيل لقبول ما قالهُ هارڤي وهو ان كل حي فمن بيضة او كما قيل بعدئذٍ ان كل حي فمن حي

ولا عجب اذا رأى بستور حينئذٍ انهُ ينتج من معرفة اسباب الامراض المعدية فوائد جمة فان الاختمار الناتج من فعل الاحياء الميكرسكوبية يبتدئ ضعيفاً كأن لافعل لتلك الاحياء ثم يشتد فعلهُ واخيراً يضعف ويعود الى السكون فهو من هذا القبيل شبيه بما يحدث في الامراض المعدية فانها تبتدئ بمدة الحضانة التي لا تظهر فيها قوة المرض ثم تظهر قوتهُ وتشتدُّ ثم يعود الى السكون. غير ان اختلاف ميكروبات الاختمار باختلاف انواعهِ يدعو الى الظن ان لكل نوع من الامراض المعدية نوعاً خاصاً من الميكروبات. والظاهر مما كتبهُ بستور في ذلك الوقت ان علاقة الميكروبات بالامراض كانت تشغل بالهُ فقد كتب الى ابيهِ سنة ١٨٦٠ يقول انهُ يرجو ان يضع حجراً صغيراً في البناء المتداعي بناء ما نعرفهُ عن غوامض الحياة والموت حيث عجزت عقولنا عجزاً يُرثى لهُ. وكتب اليهِ ايضاً سنة ١٨٦٣ بعد ان قابل نبوليون الثالث « لقد أكّدت للامبراطور ان الذي ارمي اليهِ انما هو معرفة اسباب الفساد والامراض المعدية »

ومن غريب الاتفاق ان علم الميكروبات اخذ حينئذٍ يتقدم من ثلاث جهات مختلفة الاولى معرفة اسباب الامراض الحادة المعوية. والثانية منع العدوى. والثالثة الشفاء بالتطعيم او اكساب المناعة بهِ. وكان لبستور شأن كبير في الامر الاول والثالث. وما اكتشفهُ في الاختمار هو الذي ارشد لستر الى الامر الثاني. ودخول بستور في ميدان البحث عن اسباب الامراض والنتائج التي وصل اليها من اهم ما في تاريخ علم الطب ومن انفع ما فعل لفرنسا. وقد اتيح لهُ اولاً ان يدرس الامراض المعدية لما فشا المرض الذي فتك بدود الحرير ولم يكن احد يعرف من اين اتى ولا كيف وصل الى الدود. وكان يُعرَف بظهور نقط سوداء او بنية على جسم الدودة. فان دوماس الكيماوي استاذ بستور طلب منهُ ان يدرس هذا المرض ويبحث عن علاج لهُ ولم يكن بستور يعرف شيئاً عن تربية دود الحرير لكن بحثهُ في الاختمار وحذقهُ في استعمال الميكرسكوب سهلا عليهِ اكتشاف سبب العلة على حد قوله قبل ذلك بعشر سنوات وهو ان التوفيق يجيء من يكون مستعداً لهُ. فلم يكد يصل الى الاماكن التي يربى فيها دود الحرير حتى جعل يبحث في تلك النقط السوداء. وتفصيل ذلك يطول شرحهُ وانما نقول بالاختصار انهُ لم يمضِ عليهِ شهر حتى عرف ان المرض يصيب الدود وفراشهُ وبزرهُ ولكن اهم الاصابة في الفراش. ويسهل رؤيتها بالميكرسكوب وان العلاج

يقوم بالاقتصار على استعمال البزر الذي من فراش سليم فاوجد دوداً خالياً من المرض . وقد ايَّد اكتشافهُ بالامتحان لانهُ اطعم دوداً سليماً ورقاً ملوثاً بجراثيم المرض فظهر المرض فيهِ . وهذه الطريقة جديدة ولكنها صارت قاعدة مطردة في المباحث البكتيريولوجية . ودام البحث في مرض دود الحرير وعلاجهِ خمس سنوات فنجى دود الحرير من المرض المشار اليهِ آنفاً ومن مرض آخر اكتشفهُ وهو مرض الفلاشري

ولما كان يبحث في مرض دود الحرير لم يترك البحث في امراض الخمر التي تسبب حموضتها ومرارتها وتمكرها فاخترع لعلاجها الطريقة التي سميت بسترة نسبة اليهِ وهي بسيطة جداً تقوم بتسخين الخمر لاماتة ما فيها من جراثيم الميكروبات فافاد بلادهُ فائدة مالية لا تقدَّر . والبسترة على بساطتها صارت اساساً لحفظ الاطعمة من الفساد

ولما اكتشف سبب مرض دود الحرير جعل يبحث في اسباب الامراض التي تعتري الانسان والحيوان وطلب من الحكومة سنة ١٨٦٧ ان تنشئ معملاً للبحث في اسباب الامراض لانهُ لا يمكن البحث عن اسباب الحمى الخمالية والقنغرينا والطعم ما لم يبنَ بناء مناسب لحفظ الحيوانات التي تجرَّب التجارب فيها . واشار في كتابهِ عن البيرا الذي نشرهُ سنة ١٨٧١ الى ان الامراض التي تعتري الانسان قد تكون مسببة عن الميكروبات حاسباً ان الانسان يتأثر من الميكروبات كما تتأثر منها الخمور لكنهُ ابى ان يثبت شيئاً من ذلك من غير امتحان . واصابهُ شيء من الفالج سنة ١٨٦٨ فاضعفهُ عن العمل ثم جاءت الحرب بين فرنسا والمانيا فمنعتهُ عنهُ مدة

ويحسن بنا ان نقف هنا وننظر كيف قابل الاطباء هذه المكتشفات . فانهُ لم تمر عشر سنوات حتى ثبت ان لكثير من الامراض اسباباً ميكروبية وان مقاومة الفساد حسبما اشار لستر امر لا بدَّ منهُ في الجراحة لنجاحها وثبت انهُ يمكن معالجة بعض الامراض بطعم خاص بها . والآن لا شيء من الطب يفهمهُ الجمهور اكثر من فهمهم المبادئ البكتيريولوجية فترى كلة الميكروبات والجراثيم والمصل والمناعة من الامور المتعارفة حتى في كلام العامة ولكن لم يكن الامر كذلك منذ اربعين سنة بل لم تثبت هذه الحقائق الاَّ بعد حرب عوان

لما وضعت الحرب بين فرنسا والمانيا اوزارها قال الجرَّاحون ان الحرب قتلت المشرات والمئات واما الامراض الجراحية فقتلت الالوف . فكان الفساد في العمليات الجراحية فاشياً في المستشفيات والحمرة والحمى الصديدية وغنغرينا المستشفيات كانت ضاربة اطنابها فيها . واحياناً كان يقفل المستشفى كلهُ للتخلص من هذه الآفات

كانت الاسباب مجهولة فجهلت ادويتها . وكان الجرّاح يلبس الثوب الذي يعمل به العمليات الجراحية يوماً بعد يوم وسنةً بعد اخرى ويقف مساعدهُ الى جانبهِ والرفائد المشمعة مشكوكة في عروة ثوبهِ . ونحن نشير الآن الى هذه الامور كأنها من اعمال البرابرة ولكن الجراحين قبل زمن لستر لم يكونوا يوجسون منها شرًّا مهما دققوا في محاسبة انفسهم

والطب الباطني تقدَّم باصلاح طرق التشخيص الطبيعي وباستعمال مبادئ التشريح الباثولوجي ولكنهُ لم يتقدَّم في معالجة الامراض المعدية ومنعها فكان الطبيب يقف امامها مكتوف اليدين غير ملتفت الى مكتشفات اهل البحث والتحقيق . والشواهد على ذلك كثيرة جدًّا فقد جاء هنل Henle (١٨٤٠ — ١٨٥٣) برأي معقول للمدوى ولكن اطباء عصرهِ لم يلتفتوا اليهِ . وذكر هولمس Holmes (١٨٤٣ — ١٨٥٥) حوادث كثيرة تدل على ان الحمَّى النفاسية معدية تنتقل من نفساء الى اخرى بواسطة الاطباء والممرضات . واثبت سملويس Semmelweis سنة ١٨٤٧ ان الوفيات بهذه الحمَّى في مستشفى فينا القديم يقلُّ عددها من ١٦ في المئة الى ٣ في المئة (ثم الى ١ في المئة) وذلك بتنظيف يدي القابلة بماء الجير المكلور . ولكن استخفَّ الاطباء بقولهِ ولم يواظبوا على استعمال طريقة سملويس على بساطتها . ولما اكتشف ڤلمن Villemin ميكروب السل قبل كوخ بثلاث عشر سنة وذلك بنقل عدوى السل الى الحيوانات التي طعمها بهِ عومل كمن يقلق راحة الاطباء . وقال بيدو Pidoux في هذا الصدد مشيراً الى الذين يبحثون عن ادوية خاصة للامراض « انهم يضطروننا كرهًا عنا الى البحث عن الادوية الخاصة او الطعوم التي تقي من الامراض فيوفقون نجاح الطب » . وكان بيدو زعيماً للاطباء في عصرهِ ومع ذلك لم يرَ مشابهةً بين تجارب ڤلمن التي عدا بها خنازير الهند بالسل بواسطة لعاب المسلولين وبين ما اثبتهُ بستور من ان الجراثيم الطائرة في الهواء هي سبب الاختمار

ثم لما بين دافين Davaine سنة ١٨٦٣ ان الميكروبات التي في دم الحيوانات المصابة بالانثركس (الجمرة) تشبه في فعلها خمائر بستور وهي سبب موت تلك الحيوانات لم يقبل قولهُ الاَّ بعد اقامة الادلة على صحتهِ ولم يهتم احد باعادة تجاربهِ . ويتعذَّر علينا الآن ان نفهم كيف كان الاطباء يقاومون ڤلمن ودافين . ولكن ما ذهبا اليهِ كان جديداً في الطب العملي فشقَّ على الاطباء ان يدنو البحث الاختباري من حرمهم لاسيما وانهم كانوا حينئذٍ اراكنة العلم في فرنسا وكان الناس يستشيرونهم ويعتمدون على رأيهم فحسبوا ان كل ما خرج عن اساليبهم في العلاج بدعة لا يُعمَل بها . وكانوا راضين عن الكيمياء

والفسيولوجيا والتشريح الباثولوجي وما الامتحان في المختبرات لحسبوا انهُ احط من ان يلتصق بالتطبيب و يبدي اصحابهُ آراءهم في اسباب الامراض . قال جرّاح مشهور من جراحي ذلك العصر « ان نتائج ما يجرّب في المختبرات يجب ان تقدَّم الينا بالاحترام والاتضاع ما دامت المباحث العلاجية لم تؤيدها »

ولكن لما قيل هذا القول وذلك سنة ١٨٧٣ كانت القوى التي جعلت عصر مباحث المختبرات اعظم عصور الطب قد اخذت تفعل فعلها المدهش . وهنا عدَّد الكاتب اسماء كثيرين من الباحثين وما فعلهُ كل واحد منهم في هذا العمل العظيم الى ان وصل الى لستر وكوخ وما فعلاهُ كما سيجيء

وصف الطبائع لثيو فراستس

(٢) في التملُّق

التملُّق تجارة شائنة عائد نفعها على صاحبها دون غيره . اذا سار المتملِّق معك في احد المتنزهات لا يلبث ان يقول لك : « الا ترى كيف ان جميع الانظار متجهة اليك ؟ ذلك ما لا يتفق لغيرك . ما اجمل ما قال الناس عنك امس من عبارات المديح والاطراء . فقد كنا نحو الثلاثين جالسين في المحل الفلاني نتجاذب اطراف الحديث فادّى بنا الكلام الى تسمية اعظم رجل من رجال الخير والاحسان في البلد فاجمعت الآراء عليك » . يقول لك ذلك وكثيراً مثلهُ وهو يلتقط ما يعلق بثيابك من الزَّغب وما يسقط على لحيتك او رأسك من الهباء ثم يستأنف كلامهُ قائلاً : « هذا ما يقول افضل الناس عنك وهذا احسن ما يمكن ان يقال عن امرئ ويسمع » . واذا اراد ان يتهكَّم على احد صدَّق لهُ على سبيل المزاح ورفع على فمهِ احد طرفي ردائهِ حتى يظهر للحضور انهُ لم يتمالك نفسهُ عن الضحك ولكنهُ امسك عن القهقهة . واذا رافق من يريد تملقهُ او عزَّ الى الذين يصادفهم في الطريق ان يقفوا ريثما يرى رفيقهُ ويبتاع فاكهةً ويذهب بها الى داره فيدفعها لاولادهِ ويقبلهم ويقول لابيهم : « ان هؤلاء الاشبال من ذاك الاسد . . . » واذا رآهُ خارجاً من بيتهِ تبعهُ في الطريق او رآهُ داخلاً دكاناً لابتياع حذاء قال لهُ : « ان هذا الحذاء لا يليق بقدمك » او يسبقهُ الى منزل احد اصدقائهِ فيدخل قبلهُ و يقول لاصحاب المنزل : « فلان قادم الآن لزيارتكم » . ثم يعود اليهِ مسرعاً فيقول لهُ قبل دخولهِ : « لقد بشَّرت اهل الدار بقدومك وكلهم مستعد للترحيب بك »